أحمد معلّا

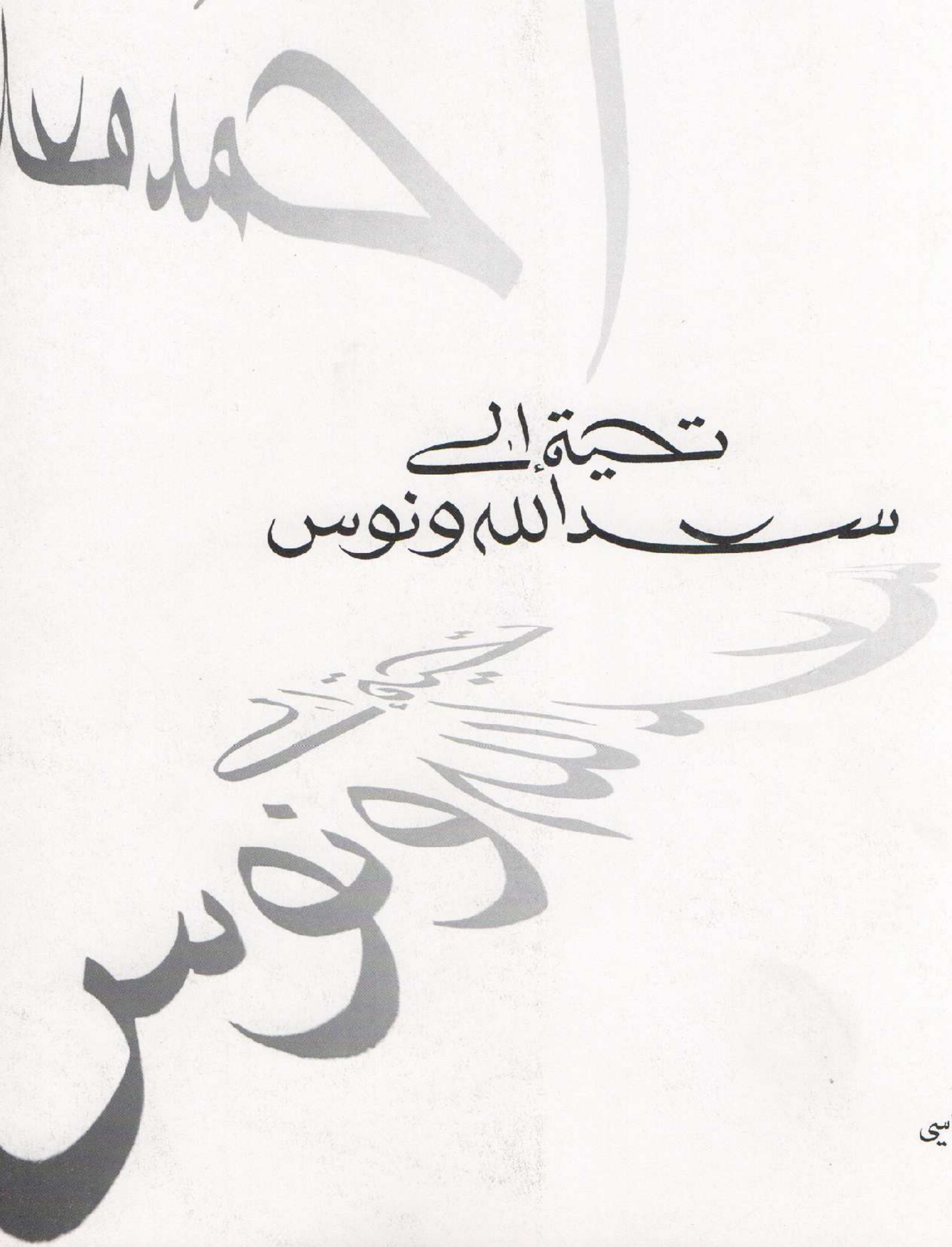

تحية إلى سعد الله ونوس

غاليري أتاسي

١٩٩٧

أحمد معلاّ

مواليد سورية ١٩٥٨ / مصمم ومصور
خريج كلية الفنون الجميلة
قسم الاتصالات البصرية ١٩٨١ ـ دمشق
خريج المدرسة الوطنية العليا للفنون الزخرفية
باريس ـ١٩٨٧
دكتور مدرس في كلية الفنون الجميلة
دمشق ١٩٨٩ ـ ١٩٩٦

معارض شخصية :

سوريا أحمد معلا ـ صالة أورنينا ـ دمشق ـ ١٩٨٨
تجارب ـ صالة بلاد الشام ـ دمشق ـ ١٩٩٠
تجارب ـ صالة بلاد الشام ـ حلب ـ ١٩٩٠
تجارب ـ صالة آتاسي ـ حمص ـ ١٩٩٢
تجارب ـ صالة إيمار ـ اللاذقية ـ ١٩٩٢
تجارب لونية ـ
المركز الثقافي الفرنسي ـ دمشق ـ ١٩٩٣ / ١٩٩٤
ميرو بثلاثة أبعاد ـ
المركز الثقافي الفرنسي ـ دمشق ـ ١٩٩٤ / ١٩٩٥
بقايا احتراقات إنسان ـ مقهى البرازيل ـ دمشق ـ ١٩٩٦
رسوم كتاب رأس المملوك جابر ـ اليونسكو ـ باريس ـ ١٩٩٦

معارض ومساهمات مشتركة :

١٩٩٠ ـ ١٩٩٤ معارض أساتذة كلية الفنون الجميلة
١٩٩٣ ـ جماعة (٤ + ٥) صالة عشتار
والقاعة الزجاجية ـ بيروت
١٩٩٤ ـ خمسة فنانون شباب من سورية
آتيليه القاهرة ـ القاهرة
١٩٩٥ ـ فنانو العالم ـ معرض عالمي متجول في عدة عواصم
١٩٩٥ ـ شارك في بينالي الشارقة ، وأنجز ورشة عمل فني
بالإضافة إلى مساهمات الندوات النظرية الموازية ، وتجربة
ورشة عمل مع المعوقين
١٩٩٦ ـ شارك في بينالي القاهرة الدولي
١٩٩٦ ـ شارك في الندوة النقدية التجريبية حول تجربة
كوم غراب في القاهرة القديمة
بدعوة من الجمعية العالمية للنقد (آيكا) .
ـ عضو هيئة تحكيم معرض
دول مجلس التعاون الخليجي ـ ١٩٩٤
ـ عضو هيئة دراسة معجم المفردات التشكيلية
في مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ١٩٩٥
ـ مصمم غرافيكي وخطاط وله مجموعة كبيرة من الملصقات
وأغلفة الكتب وتصميم الكتب والمجلات والحملات
الدعائية والرسوم التوضيحية .
ـ مصمم سينوغرافيا لمجموعة من أعمال المسرح القومي
دمشق ـ ١٩٩٠ / ١٩٩٤
ـ له مساهمات أدبية ونقدية في العديد من الدوريات العربية
ـ صدرت له دراستين عن الدعاية الغربية الموجهة للبلاد
العربية وعن دور الدعاية في الفن الغربي
ـ حاز على الجائزة الأولى في
مسابقة مدينة كيل بألمانيا ـ ١٩٨٨
ـ حاز على جائزة أفضل ملصق خارجي
ميونيخ ـ حزيران ـ ١٩٨٨

أحمد معلا

تحية إلى سعد الله ونوس

غاليري أتاسي

١٩٩٧

امتنان

إلى كل الأصدقاء الذين ساهموا في
إنجاح هذه التجربة ، وأخص :

د . رانيا سمارة .
عبد الكريم عبّود . زاهر يسّوف .
نذير مراد . فراس عدره . يوسف بدوي .
ماهر بربر . محمد حمدان

الموسيقى
فواز جابر

التصوير الضوئي
محمد الرومي
جورج عشي (الصورتين ١٢ و١٦)

الفرز والمعالجة الكومبيوترية
مركز الفوال

الطباعة
مطبعة نضر

سعد الله ونوس

كاتب مسرحي سوري ولد في حصين البحر بمحافظة طرطوس عام ١٩٤١ واشتهر كأحد أهم وجوه الحركة الثقافية والمسرحية في العالم العربي منذ الستينات. درس الصحافة في القاهرة وانهى دراسته في عام ١٩٦٣ . ومنذ تلك الفترة توضح اهتمامه بالمسرح وكتب مسرحيات قصيرة من أهمها "ميدوزا تحدق في الحياة" (١٩٦٣)، و"فصد الدم" (١٩٦٣)، ثم "جثة على الرصيف" (١٩٦٤)، و"مأساة بائع الدبس الفقير" و"الرسول المجهول في مأتم أنتيجونا" (١٩٦٤) و"الجراد" (١٩٦٥). وكان من الواضح منذ البداية أن كتابات ونوس (التي تميزت بعد ذلك بالغزارة والتطور المضطرد) تطرح موضوعة أساسية وجوهرية هي كيف يمكن للثقافة أن تكون فاعلة في المجتمع، وكيف لها أن تعبر عن قضايا وهموم الإنسان فيه؟.

سافر إلي فرنسا عام ١٩٦٦، وتعرف على المسرح الغربي في فترة تحولاته الأساسية والجوهرية، فكتب مسرحيات ترتبط ارتباطاً مباشراً بالواقع المعاش في المنطقة، مستخدماً تقنيات تدمج بين أهم التطورات التي دخلت على المسرح العالمي في الغرب، وبين أشكال الفرجة في المنطقة، وتراثها الثقافي والشعبي. من أهم مسرحيات هذه المرحلة "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" (١٩٦٨)، و "الملك هو الملك" (١٩٧٨) و "الفيل يا ملك الزمان" (١٩٦٩) و "مغامرة رأس المملوك جابر" (١٩٦٩). وقد بلور ونوس عبر هذه المسرحيات مفهوم "التسييس"، وقد صاغ هذا المفهوم وأفكاره عن المسرح في كتابيه النظريين "بيانات لمسرح عربي جديد"، و"هوامش ثقافية" وكتب بعد ذلك مسرحية عن مؤسس المسرح في سوريا وهي "سهرة مع أبي خليل القباني" (١٩٧٢).

ساهم في ترسيخ أسس لمهرجان مسرحي في دمشق وأسس وترأس تحرير مجلة مسرحية مختصة في سورية هي (الحياة المسرحية)، كما ساهم في إنشاء معهد لتدريس المسرح في سورية وقام بالتدريس فيه في عام ١٩٨٩ كتب مسرحية "الاغتصاب" وتعتبر بداية مرحلة جديدة في كتابته. ولكن أهم مسرحيات هذه المرحلة تبقى ولا شك "منمنمات تاريخية"، التي تشكل محطة في تاريخ الفكر والمسرح العربي. بعد ذلك وفي عام ١٩٩٤ كتب مسرحية "يوم من زماننا" ومسرحية "طقوس الاشارات والتحولات"، ومسرحية "أحلام شقية"، وقد صدرت جميعها في مجلدات أعماله الكاملة.

في صيف عام ١٩٩٦، وبعد صدور مسرحية "ملحمة السراب" التي تعالج التحول على المستوى الاجتماعي، انتقل إلي نوع جديد من الكتابة حاول فيه تخطي الجنس الأدبي والممنوعات الاجتماعية والكتابة الواقعية إلى نوع من الفانتازيا الخلاقة التي تسمح للمكنونات الداخلية أن تتجلى عبر الكلمات وذلك للتعبير عن الحياة والموت انطلاقاً من معاناته الخاصة مع المرض.

م. ا.

عن الحياة والفن

ماري -أظن أننا دخلنا هنا في مسألة فلسفة الحياة، أو لنقل "الحقيقة" التي نبحث عنها عبر ذاتنا وعبر مراقبة الواقع.

سعد الله-نعم. . . وقد فكرت في هذا الأمر مطولاً، في هذه الفترة. . أنا أحس أن الحياة العامة، والتي هي حياة كل يوم، ما هي إلا صورة أو وجه للحياة . . لو سألت أي إنسان سليم ومعافى، ما هي الحياة؟ فسيُعرّف هذه الحياة بتوصيفها . . يستيقظ الناس صباحاً، الإنسان العامل يذهب إلى عمله، المرأة التي لا تعمل تقوم بمهماتها البيتية. . . . تبدأ عمليات إجتماعية من أنواع ومستويات مختلفة ومتباينة ومتنوعة. . لقاءات اجتماعية في العمل ولقاءات اجتماعية في البيوت. . النساء مع بعضهن من جهة، والرجال مع الرجال من جهة أخرى. . لقاءات في الشارع. . مشاكل الشارع ومشاكل المواصلات. . هذه الحياة العامة هي الصورة -لا أريد استخدام كلمة السالب (نيغاتيف الصورة) لأنها ليست دقيقة -هي الصورة التخيُليّة fictive. الحياة الفعلية تتم، وتدور في دهاليز مظلمة وغامضة في دواخل الأفراد، وفي متاهات العلاقات التي تبدو غامضة وسرية أحياناً وغير مفهومة. . . هناك، بين هذه الدواخل ارتباطات وعلاقات لها أسماؤها طبعاً. . مثل الأسرة، والصداقة، والعلاقة، والقرابة، والجيرة. ولكن هذه كلها أسماء لعلاقات سرية وعميقة بين ما يستتر داخل كل فرد وبين المجتمع الذي يحيط به، ابتداءً من المجتمع الصغير إلى المجتمع الأكبر.

هذه الحياة الفعلية التي تتم في نصف العتمة وفي نصف الضوء، هي التي تشكّل الدافع والهاجس الأساسي، وفي الوقت نفسه، حافز كل شخص منا للتمظهرات التي يظهر فيها في العالم الخارجي. هذه هي الحياة الحقيقية، هذه هي الحياة الفعلية التي غالباً لا يُكشف عنها، والتي تستبدل بحياة مظهرية خيالية مليئة بالأكاذيب، مليئة بالمظاهر.

اليوم، وقد أكون شعرت بذلك قبل سنة، ولكن بشكل أقل وضوحاً، أن الحياة كما تبدو في الظاهر هي مسرح، وغالباً هي مسرح تجاري . . مسرح استهلاكي . . .

إذا أردت أن أطبق هذه الفكرة على الموضوع الفني والإبداعي . . . .

سأقول إن مهمة الفنان هي أن يبحث عما هو عميق وحقيقي، لكي يدرجه في عمله الفني، أو في مسرحه. إذ أن كتابة مسرح حقيقي يلامس ما هو عميق في الإنسان يحتاج إلى إزاحة هذا المسرح التجاري الكبير الذي هو الحياة في المجتمع.

وهذا يتطلب أن يغوص الفنان أو الكاتب إلى الأعماق، إلى أعماق الفرد والجماعة وأن يبحث في هذه الدهاليز السرية عن الإشارات الخفية عن الكلمات الصائبة والدقيقة . . عن الرغبات الفعلية . . عن عمق الأشياء . . وعن الشهوات المغطاة والمخبأة والملتوية . . وعملية الوصول لهذه الأمور هو الفن . .

أنا لست مبدعاً بهذه الملاحظة لأني أعتقد أن كتّاباً كثيرين اكتشفوها قبلي، ولكنهم أدرجوها في نطاق هجاء اجتماعي، وقالوا هذا نفاق . . أو قالوا " هذا نتاج المجتمع البرجوازي الزائف " (. .) بمعنى أن هناك كتّاباً لاحظوا هذه الملاحظة ولكنهم لم يمضوا بها إلى حدودها القصوى . .

ماري –هل هذه صفة الأدب وحده؟ خارج نطاق الأدب، في الرسم مثلاً . . أظن أن الرسام أيضاً لا يستطيع إلا أن يبحث عن عمق الحياة ليعطي عملاً يلامس "الآخر" في جوهره . .

سعد الله –في هذا المجال هناك تعقيد . . فالرسام ليست مهمته القول، ولا يحاول التواصل مع مشاهديه عبر الأفكار والمقولات. إن تواصل الرسام مع المشاهد، هو نوع من التماس الكهربائي يحصل دائماً، وبصورة فردية، حين يجد المشاهد في اللوحة، ما يلامس هاجساً أو ذكرى أو مذاقاً أو شوقاً. أما الكاتب، فميزته أو بؤسه في نفس الوقت، أن المطلوب منه هو أن يقول ذاته، وأن يتجاوزها لقول ذوات الأخرين أيضاً، مطلوب منه أن يرسم لوحة واسعة لمجتمع، من هنا فهو مطالب بأن يقول شيئاً ما، وأن يكشف حقائق مركبة يتداخل فيها الذاتي

الرسام غير مطالب أن يكون لديه أطروحة، أو أن يرسم موضوعات غائيّة قابلة للشرح والتعميم كأمثولات اجتماعية أو جمالية. وحين يحدث ذلك، كما كان الأمر في الدول الاشتراكية، فقد انحط الرسم، وفقد الرسام خصوصيته وإلهامه الخاص. أما الكاتب فمطلوب منه بشكل أو بآخر أن يعبر.

ماري –الرسام أيضاً يعبر. . ربما كانت أداة التعبير مختلفة، ولكن برأيي ما قلته عن الأدب ينطبق كلياً على الفنون الأخرى، رغم اختلاف أدوات التعبير، كل تعبير ما دام يتوجه للآخرين. . فهو يصب في الجماعة، حتى ولو كان تعبيراً فردياً أو ذاتياًبطابعه.

سعد الله – ولكن للأسف أن اللغة هي أداة التواصل الوحيدة الإصطلاحية التي لا يمكن الفرار منها، مهما تم تفجير اللغة يظل هناك أساس مشترك لمعنى الكلمات، وبالتالي مهما كان الكاتب ذاتياً– كـ" فيليب سولرز " – ومعادياً لما هو اصطلاحي في اللغة، وزاهداً في التواصل مع الآخرين، فإن كتابته لن تكون ذاتية، وهو يعرف أنه يستعمل أداة هي في النهاية أرضية مشتركة بينه وبين المجتمع.

ماري –ولكن يمكننا أن نقول نفس الشيء بالنسبة للغة الرسم أو النحت، أليست دلالة الألوان والخطوط اصطلاحية أيضاً، بشكل ما!

سعد الله –لا . . أعتقد أن للرسم خصوصيته. والتجديدات الكبرى التي عرفها الرسم، إنما كانت في نقض كل ما هو اصطلاحي فيه، المحاكاة والمنظور والألوان. أينبغي هنا أن نعدد تجديدات الانطباعيين، أو أن نذكر أن فناناً مثل " بيكاسو " قد أوجد بمفرده، عالماً مبتكراً من الأشكال والألوان والرؤى. . واعتبر أن لهذه الفنون التعبيرية خصوصيتها، وأن المفاهيم ليست أدواتها، ولذا فإننا لا نستطيع أن نطالبها بموقف ومسؤولية تجاه ما يدور في مجتمعها. في حين أن الكاتب ما دام يستعمل اللغة فهو مسؤول عنها.

ماري الياس

مقتطفات من حوار مع سعد الله ونوس

١٩٩٦

بصيصُ ظلام! . .

. . ربما لأنني لاأثق كثيراً بمن يروِّجون للأمل . . أنظر إلى مشروع أحمد معلاّ الجديد على أنه صرخةُ تضرع أخيرة يطلقها الإنسان من علياءِ كوكب يتصدّع . رسالةُ استغاثة باسلةٌ -ولكنّها يائسة- يلقيها، داخل زجاجةً ما، آخرُ بحّار على سطح سفينة تغرق . رسالةٌ موجهةٌ إلينا . . نحن الّذين مانزال نتثأّب على شرفاتِ سفينتنا الكونيّة المهدّدة . . متذرعين ببعض الألم، والكثير الكثيرَ من الأضاليل وانعدام الفطنة :

«السفينةُ تغرق، ولم يبق تحت السماء سوانا . . نحنُ وطائفةٌ من فئران مذعورةٍ تهمُّ بإلقاء نفسها في ظلمات المحيط» .

رسالةُ استغاثة موجعة سبق أن تلقّينا أصداءها الأولى منذ قرون وقرون : من إلياذة هو ميروس . . إلى جحيم دانتي، من حشود ميكل آنجلو المتأرجحة بين وعود السماوات وخيبات الأرض . . الى كائنات غويا المطحونة بالعذاب، والحيرة، ونفاد صبر الإنسان .

وهاهي الصيحةُ تشتدُّ وتعلو، متجليةً -الآنَ- في عمل ملحمي من الرهافة والقسوة بحيث يبدو وكأنه هارب من كلاسيكيات الرواد الأوائل، أو كأنهَ ينتمي إلَى عصرِ نهضةٍ تأخر الى نهايات القرن العشرين .

عملٌ : مزيجٌ من خيال شاعر وخيال مجنون، تتنوع فيه الدلالات وأدوات التأمّل . . فتتنوعَ بالتالَي ، صيَاغات الروح وضراعاتها ، وتختلط الصور الهاذية الملتبسة التي يتراءى بها الإنسان نفسه : من كائنٍ نبيل يزيّن الأرض . . إلى مجرد هيكل زريٍّ لوحش يحلم بافتراسها .

عمل «أوبرالي» أشبه مايكونَ بإلياذّة بصرية تنهضُ في مناخ دانتوي يمزج الجحيم بالفردوس، كرنفالٌ طقسَيٌّ خلاّق يخلط التراجيديا بالتهكم، والقداسة بالإثم، والسعادةَ بالألم، والعفّة بالمجون، والحكمة

بالندم أو بالعذاب!! . . مسرحٌ غرائبيّ يقدّم الحياة مشّخصةً كما في كابوس . . حيةً، غنية، متناقضة، مزريةً وعابثة الى درجة تصيب العقل والقلب بدوار هو: دوار الحياة.

بلى . . مزيجٌ من خيال شاعر وخيال مجنون . قلبٌ مكتظٌ بالعالم، مكتظٌ بهشيم بشر وهشيم حياة (وأستغربُ كيف أن هذا القلب ظلَّ قادراً على ألاّ يتهشّم أوْ ينصدعَ ! . .) بدايةُ قول جديد، وصرخة جديدة أثق (ولماذا أثق؟! . .) أن دويّها لن يختنقَ أو يضيع.

قولٌ جديد . . يتجلى في استعدادات ذكية، غير متعالية أو مدّعية، لجذور التقاليد الأكثر أصالةً في عصر نَهضة غير محدد بأسماء أو تواريخ.

إن أحمد معلاّ لايقدم عملاً . . بلَ يطرحُ مشروعاً يصلح لأنْ يكون مشروع حياة. ولهذا يمكن، ببساطة، متابعة الخيط الدرامي الذي يصل بين بدايات هذا المشروع (الأعمال الورقية التي سبق أن أنجزها بمواد مختلفة «غير نبيلة» تتراوح بين ا الباستل والأحبار وحثالة القهوة) وبين ماوصل إليه، ، إذ لاأريد أن أقول: نهايته، تلك الأعمالُ كانت التمرينات الاستعدادية الأولى للنشيد الملحمي الأشمل . . الذي كان إنجازه يتطلب اختبار ماأمكن من الوسائل، والمواد، والمفاهيم . . لتحرير طاقة اليد والعقل والقلب والخيال.

إن أحمد معلاّ، في مجمل ماجرّب وأعطى، يترك بصمات، آثاراً وشاخصات تدل على عصر وثقافة ورياضات فكرية وروحية لجنس بشري حُكم عليه بالإخصاء والصمت وضُمور غدّة الجمال: حُكم عليه أنَ يظل حلزوناً قانعاً بظلام قوقعته وأنفاقه التعيسة التي يتمترس بها داخل التراب.

إن عملاً كهذا يتطلب (إلى جانب الاحتياطي الكبير من الحرية والشجاعة) قدراً أكبر من ذكاء اليد والعين والبصيرة . . بحيث لايقع الفنان في الأخطاء المميتة. إنّ حركةً واحدة، لمسةً واحدة، ضربة أداة واحدة مسموحٌ له بها، وبهذه الحركة اليتيمة والجسورة عليه أن يكون قدَ أكمل الإنجاز، وعلى أفضل وجه ممكن. وذلك مافعله أحمد معلا . . فهو، في تأليفه الصارم والحر، لايبدو أنه يخترع وجوهاً لبشر . . بل يكتفي بكسر القشرة ورفع القناع عن وجوه بشر محتشدين أصلاً على سطح اللوحة أو سطح الحياة. إنه يضعنا، فجأةً، أمام إنجاز مدهش ومثير لخليقة

غامضة تطلّبت من الآلهة بضعة ملايين من السنين، ومن الفنان بضعة أيام أو أسابيع.

بشرٌ غريبوا الأطوار والملامح والنزعات.. يولدون من السطح الأبيض كما تولد الأفكار من سواد الذاكرة!.. فوضى عارمةٌ لأناس مأخوذين بما يتوهمون أنه حريتهم وخلاصهم، داخل معتقل كونيّ لتأديب الأسرى وتأهيلهم لنعيم العبودية.. أو نعيم الموت!.. رؤوسٌ مرفوعة على رماح تتبدّى كبالونات تتسلق خيطانها وتسبح في فضاء مذبحة أو عرس!.. فضائل نقيضةٌ للفضائل: مزيجٌ من جنون، وذَعر، وخراب! يومُ قيامة مهولٌ لايقوم فيه الموتى.. بل ربما يموتُ فيهِ الأحياء!.. نورٌ ساقط علَى بيضة أسطورية، كأنما هي بيضةُ الكون الأولى، تحار في قراءتها وتأويلها: أهي كوّةُ نور، أو بيضة حياة، أو هي مؤخرة العالم وقد أدارها باتجاه نفسه؟!.. غزالٌ خجولٌ يلوذ بما يشبه أيقونةً لعذراء ومسيح!.. صبيّ «أزعر» يجلس في أعلى جدار الكون، كأنه يمد لسانه لنا.. ويتفرج على خراب العالم!.. مائدةُ نور غامضةٌ اشبه ماتكون بموائد المآتم: أعني موائدَ معدّة للموتى.. أو معدّة من أنقاض لحومهم.. وأحلامهم!. رجالٌ، في طريقهم الى مجد ما، يقرعون الطبول احتفاءً بجنونهم أو.. جنون الحياة. لاعبو سيرك، أشباه بشر في اقفاص، عاهرون، رعاعٌ، راقصاتٌ، قردةٌ، فوضويون، مهرجون، فراخُ ابالسة أو فراخ قديسين... كأنهم شعوبُ الأرض كلها تتطاحن وتخوض معَركتها الأخيرة على قطعةِ عظم.. أو حفنةِ غبار!..

مناخٌ كاتدرائيّ غامض.. يحتله هؤلاء جميعاً: بشرٌ.. أنصاف ثوار، أنصاف وحوش، أنصاف آلهة. يصخبون ويعبثون ويفسدون ويحبون داخل مايشبه كاتدرائية أو دارٍ بَغاء أو نادياً للعراة!..

وفي أعلى موضع من هذه الكوميديا، أو هذه المذبحة، أو الهذيان الكوني، سربُ حمام يصطّف كرسالة خجولة موجهة للإنسان في زجاجة ألقى بها «نوحٌ» معاصرٌ الى البحر.. قَبل أن تضلّ حمامتهُ وتغرق سفينته التي هي سفينةُ الإنسانية ذاتها. رسالةٌ مختزلة ومتواضعة تحوّل المبغى الى كنيسة للعذاب البشري. رسالةٌ موجهة الى الخليقة كلها. رسالةٌ لابدّ منها وسطَ هذا الطوفان المجنون، وهذا السعار الوحشي الذي يكاد

يفتك بجميع القيم . . بل وبكلّ بذور الحياة .

بضعُ حمامات فوقُ . . . أسكتتْ أصوات الجميع ، وكتمت ضوضاءهم :

إن علينا الآن إذنْ أن نوصل الرسالة . إن علينا أن نعلن ، بقصيدة ، بصرخة ، بشهقة حب أو ضربة فرشاة ، أنه مايزال في وسعنا (وأخشّى أنه لم يعدْ في وسعنًا أبداً) أن نمدّ يد الغوث الى سيدنا الإنسان .

. . . .

لقد تهيأ لي ، وأنا أقرأ هذه الكائنات الملتاعة وأتنصّتُ الى ذعرها ، أنها -أثناء عملية خلقها- كانت تتحرك باستقلال كامل عن ارادة خالقها . . وهذا بديهيّ الى حد بعيد في عمل ملحَمّي كهذا ، ذلك لأن هؤلاء البشر (سكان اللوحة الأصليين) هم الّذين يحلمون ، هم الذين يتعبون ، هم الذين يختارون موقعهم على خارطة جحيمهم الأرضي ، وبالتالي فهم القادرون على ا لتدخل في صياغة أدقّ التفاصيل والحيل «التقنية» لوجودهم الفعلي : إنهم يعيشون داخل اللوحة -المشهد- الحياة . . . بينما يكتفي الفنان (الخالق المفترض) بالوقوف خارجاً يتأمل في الكيفية التي تتخلّق بها كائناته ، محتفياً بأوهام خلقه ، زاعماً لنفسه ولنا -نحن الذين نقف خارج الأسوار- أنه هو الذي خلقها على صورة أوهامه ومثالها . . بحيث لايبقى عليها إلا أن تخرّ على الأرض (التي هي أرضُ أوهامه أيضاً) شاكرةً ، متعبدة .

كائنات أحمد معلاّ -على عكس الكائنات الأرضية الأخرى . . التي هي نحن -تعيش جحيمها باندفاع وطلاقة وحرية تكاد تصيب عقولنا بالدوار . إنها -إنهم- أحرار في أنّ يكونوا تعساء ، أو مجانين ، أو حتى أسرى في أقفاص أو فضاءات أو معسكرات موت . . . فيما نحن نُمضي حياتنا كلها في أقفاص مكيّفة ، فلا نعود نعرف مايمكن أن نفعله بهواء الحرية ، وشمس الحرية ، والدوار الخبيث الذي تثيره في رؤوسنا ملعونةُ الأبوين الغامضةُ : الحرية .

إن اللوحة (من بين جميع الكائنات ، ومثلها مثل القصيدة)

هي التي تختار الكيفية التي تولد بها: الطقوس، والأفكار، والملامحَ، والألبسة الأكثر ملاءمةً للاحتفاء بعيد طفولة قد يكون عيدَ موت! . .

والفنان إنما يكون في كامل حريته، وبالتاليً في كامل سيطرته على أدواته وأفكاره وأسرار مشروعه، حين يكون قادراً على إطلاق فكرة عمله بحيث يكون في وسعها هي أن تحدد مصيرها، وشكلها، وساعة مولدها.

«أنا حرٌّ حين يكون جنين فكرتي حراً في أن يولد أو يختنق في ظلام رحمه الشخصي» . . . يقول الفنان. إنه لايخلق اللوحة بل يقول لها: (انولدي ساعةَ تشائين وكيفما تشائين. أنت سيدة حياتك وموتك) . . .

وإلا فمن يفسّر لي الكيفيّة أو المشيئة أو النزوة الغامضة التي دفعت بتلك الحمائم البلهاوات الى أعلى قفص الجنون ذاك: أهو أحمد معلاّ . . في لحظة أمل؟! أم هي . . في لحظة قنوط؟؟ . .

ماأعرفه (ماأميلُ الى الظنّ بأنني أعرفه) أن هذه الحمامات المسكينة، مثلها مثل جميع الفنانين والشعراء، هي التي اختارت -بمحض إرادتها . . أو بمحض حماقتها- أن تكون هناك في علياء ذلك الجنون الصارخ الذي هو حياتنا في أبسط تأويل: جاءت لتشهد، أو تتأمل، أو تنوح . . . جاءت لتأخذ موقعها الطبيعي في مشهد الحياة.

نشعر -أمام هذا الكابوس الجهنمي- أننا نسبح في ماء أسود، نتنفس هواءً أسود، نتنصّت إلى غناء أسود . . ونعلك لقمة حياةٍ سوداء. نشعر أننا أسرى فظاعة وذعر وفقدان أمل، أسرى عالم لايترك لنا من الخيارات - إذا استثنينا القبر- غير الجنون أو الجنون: أسرى ظلمات.

أحمد معلاّ مجنون آخر يلتحق بالقافلة. يبدو، وهو يتسلّى بصياغة حياتنا، كأنه يبتدع كابوساً تعجز روح الإنسان عن احتماله والنهوض به. إنه -بدل أن يشرع في استنباط شرارات النار الأولى التي أبدعها الإنسان بذكاء ذراعيه وخوف قلبه- يعيد اختراع الظلام! . . .

إنَه، بدأب لايليقَ إلا بالأبالسة أو القديسين، يحكّ الخشب على الخشب ليهديَ العالم أول جنينٍ للخوف: يهديه . . بصيص ظلام.

نزيه أبو عفش

إلى سعد الله

لا نختار مكان ميلادنا ، ولا نحدّد زمنه ، لا ننتقي أهلنا .
لا نشرف على الثقافة التي نمتص من أصابع الأم ، وأشكال الأبنية ومهماتها . ثم لا نلبث أن نكتب من اليمين إلى اليسار ، ونتألم لهذا ونفرح لذاك ، ونغضب من شيء ونسرّ من ضده .
وإذ نكبر بين ظهرانينا ، تلتمع في دواخلنا - يوماً بعد يوم - الأصوات والشعارات ، الصور والرموز ، الروائح . . راسمة لسحناتنا إنتماءات لا نعي زلقنا بها ، فنُمنح هوية ، وأخرى ، وأكثر .

كان الفرات ينطلق جادلاً كل شيء ، مغرقاً فم المبهم ، يراكم في الأفق زقورةً ، حاضناً الحياة .
كان الفرات . . ولهذا سأكره المستنقع ماحييت .

. . .

في الرقة ، بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ كان بيتنا مرسماً ومسرحاً ومكتبةً وملعباً ، تتبدل اللقاءات فيه بين الشباب المتطلع إلى أطياف ثقافية واسعة ،

وتنعكس في فضائه الإنتماءات المختلفة ، والمجالات التي تفضي إليها الرغبات والإمكانيات ، في غياب تام للتلفزيون ، الذي لم يكن بثه قد وصل إلى المدينة الفراتية .
إلى جانب الكتابة والرسم والقراءة ، وجد المسرح نفسه يمتلك حيّزه ، كونه الفن الوحيد الذي يتطلب مشاركةً يجد الجميع فيها فرصاً يتمثّلها ويقدمها ، وهو الوحيد الذي يمنح الإحساس بالقدرة على إثارة المشاعر المتشابهة عند حشد .

كان الجميع يحس بهشاشة المسرح دون وعي دقيق ، ولهذا فقد تطلبت صلابته تفانينا ، والانسلاخ عن ذواتنا ، مما منحنا أبعاداً جديدةً .
ذات يوم ، خرج المسرح - دون قصد - إلى الشارع ، وأوقع كبارنا في مغبة المسؤوليات التي لم يحتملها المسيطرون على شؤون الحياة في المدينة . فانفضّ اللاعبون من مخرج وممثل وتقني ، وعادوا إلى الرسم والشعر والقصة والصحافة . . إلخ
عادوا إلى ذواتهم ، مجبرين .

. . .

بقيت مخلصاً للفن التشكيلي الذي ألحق منذ طفولتي ، ومع أنني أُعرّج على الكتابة والمسرح والموسيقا ، إلاّ أنه يبقى العالم الذي أنتمي إليه ، يستغرقني ، وأرتكب أخطائي فيه ، وأشارككم الفرادة من خلاله .
ويبقى الحشد والقطيع بعلاقته مع الفرد موضوعاً آسراً بالنسبة لي .

وكنت أراني مستسلماً - أحياناً - للظرفين الزماني والمكاني اللذين يتواجد فيهما شخص أو أشخاص . مما جعل العديد من أعمال معرضّي ١٩٨٨ و ١٩٩٠ تغصُّ بما يمكن مقاربته من المشهدية المسرحية .
وفي بحثي التشكيلي عن الطقس والمكان ، الملاذ ، رأيتني أقيم معرضيّ (ميرو بثلاثة أبعاد) ١٩٩٤ - ١٩٩٥ ، والذي يتحرك المشاهد بداخله لابساً ماخطت له خصيصاً من عباءات ملونة ، كاستجابة لرغبتي بتحقيق طقس تشكيلي ، يحتاجه المشاهد في مناخ يتمثل هذه الروح . وفي محاولة لاستخدام حامل يتكرّس عالمياً فيّ الفن المعاصر منذ السبعينات .

معرضي الحالي يدخل ضمن هذه الدائرة ، وهو بحث تشكيلي خالص مبني على انتمائي للإبداع والتجريب ، ومحاولة لضبط وتكثيف تجربتي التي أعرض منذ ١٩٨٨ ، دون الوقوع في يقين نهائي .
وكي لايُساء الفهم ، أوضح بأن هذا المعرض ليس قراءة لأعمال مسرحيّنا الكبير ، ولارسوم توضيحية لنصوصه ، ولااستيحاءً من شخصياته ، ولامقاربة لأفكاره . إنما تأخذ التحية معناها من قيمة الأداء المباشر على سطح اللوحة والتقسيمات المنظورية التي تتجاور فيها أو تتطابق ، ومن تجهيز الفضاء المعرضي ، واستخدامات الإضاءة والموسيقا وأسلوب العرض ، إلى جانب التقشف اللوني ، والتفاعل البصري للانسجام والتناقض ، ووحدة المجموع التشكيلي والبحثي ، والأفق الذي أطمح إليه من الإنجاز " التنصيبي " Installation " وأبعاده الفنية .

تأخذ التحية قيمتها من أدواتي كمصوّر "ومنصّب" ، ومن فعلي التشكيلي ، ومن قدراتي على الخلق والتحقيق ، ومن حساسيتي لما يدور حولي ، ومن تصعيدي لما يعتمل فيَّ داخل جلبة صور تتخمّر منذ قديم ، فأستبدل الخطوط بحقول من الضوء والعتمة ، تختزل الحضورات إلى ضربة بسكين .
عدوانية وموت وعنف ، ضراوة وعذابات ، غضبٌ يحتقر الضعف ، هو مايدفع يدي نحو فراغ اللوحة .

أما نتقاسم جميعاً وسعد الله ونوس - منذ ١٩٥٨ - المكان والزمان والمجتمع والثقافة والأحداث ؟ وإن لم تجمعنا صداقة حميمة في الصورة إلاّ أنّ التعاطف يأتي من كمّ المشاعر والأحاسيس المشتركة ، وإيقاعات امتصاصنا للخيبات والمرارات .

هي تحية لدأب المبدعين وصراعهم في سبيل مشروعهم مع الضنك واليأس والمرض والألم ، الموت ، من خلال سعد الله الإنسان .

أحمد معلاّ

اللوحات

من ١ إلى ١١
١٩٠ x ٢٣٥ سم
مواد على قماش

—

اللوحة ١٢ "ثنائية"
٢٣٥ x ٣٨٠
مواد على قماش

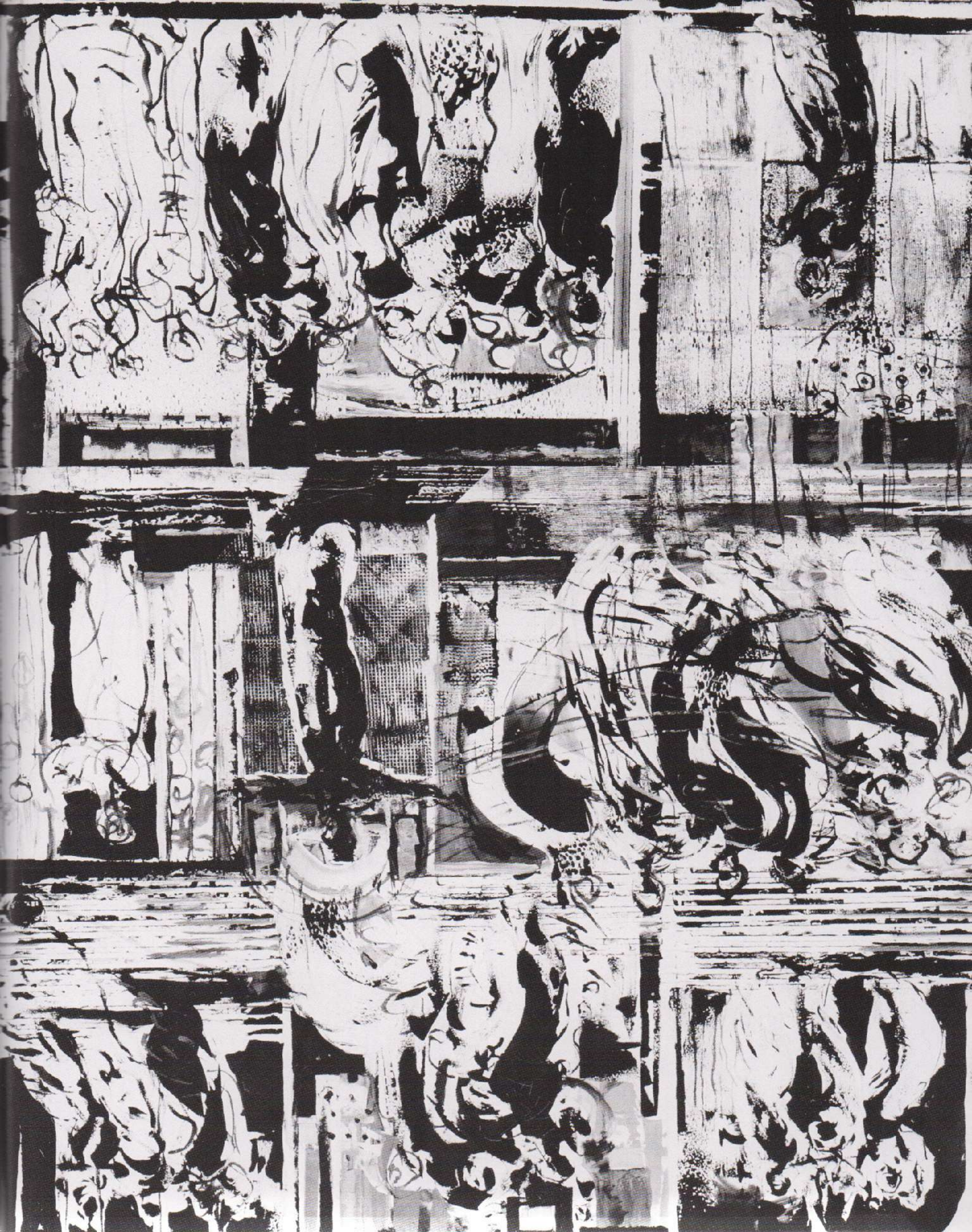

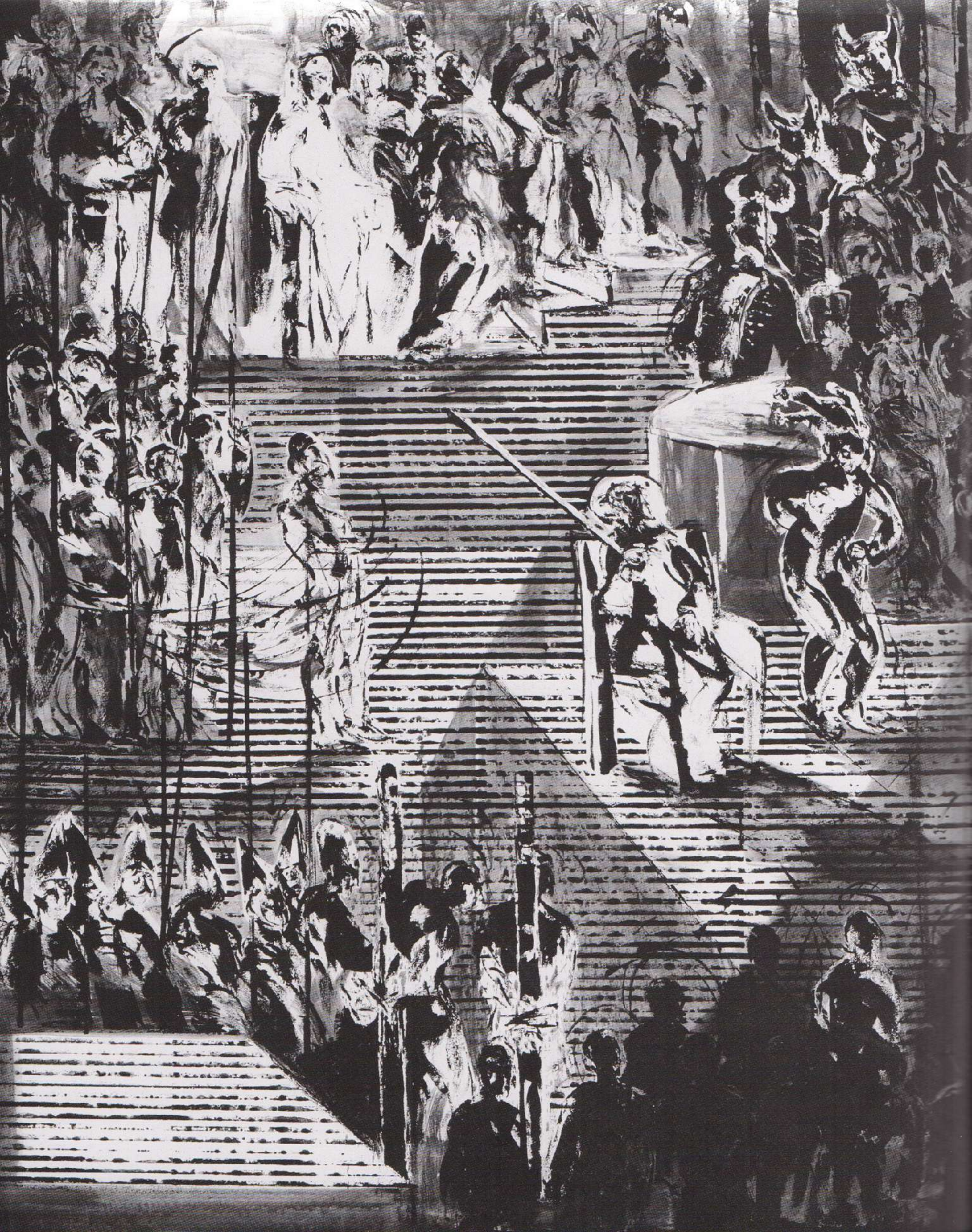

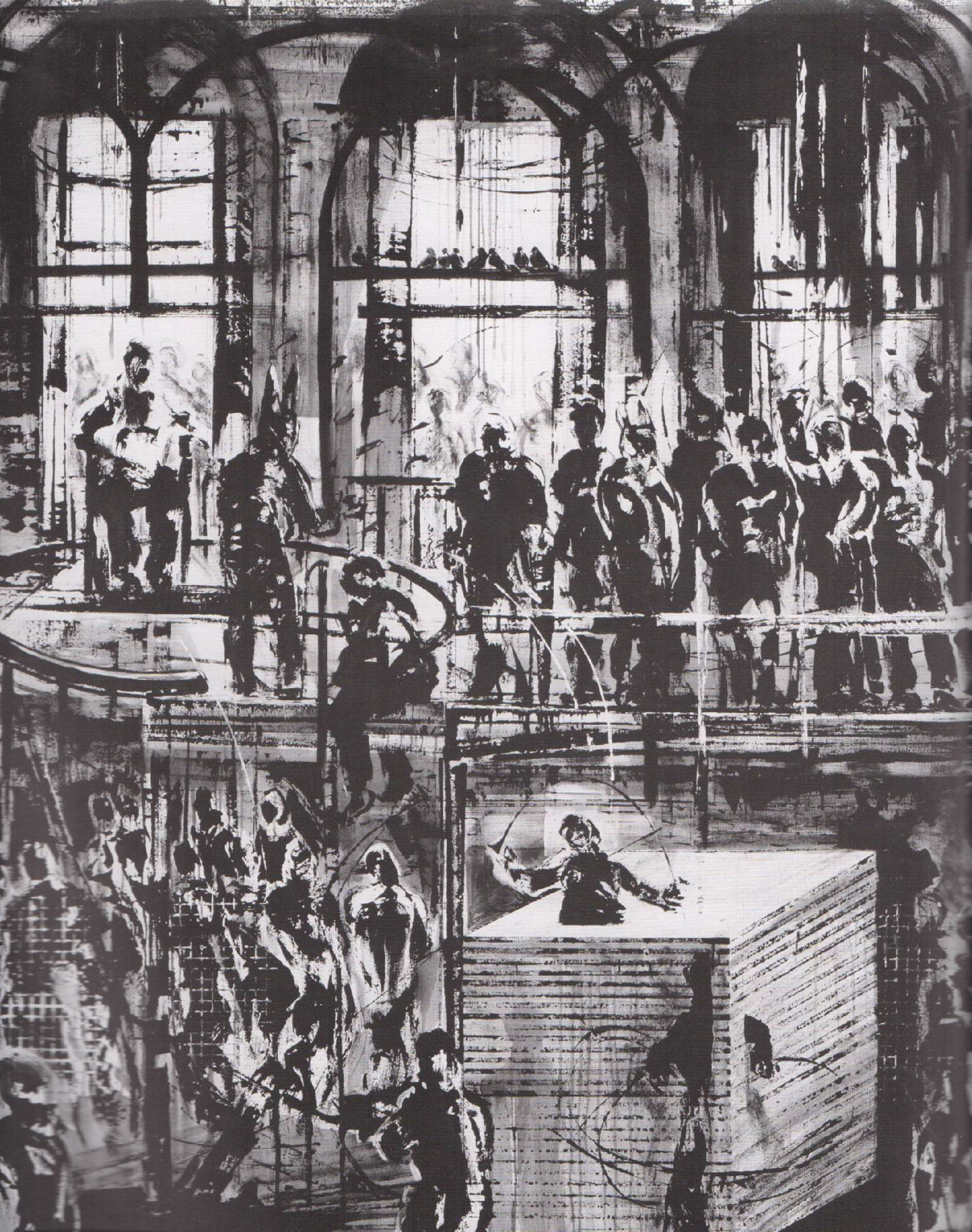

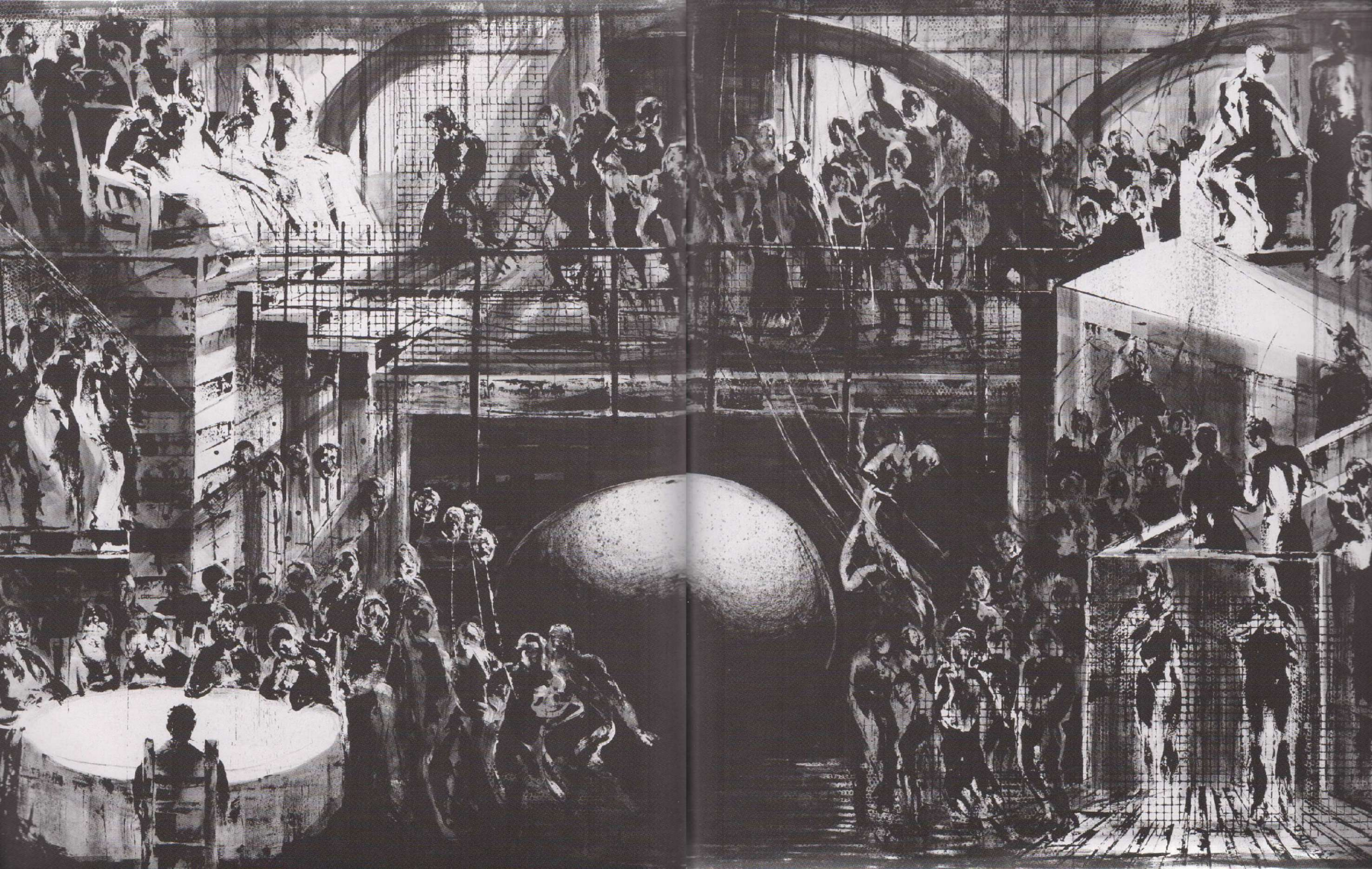

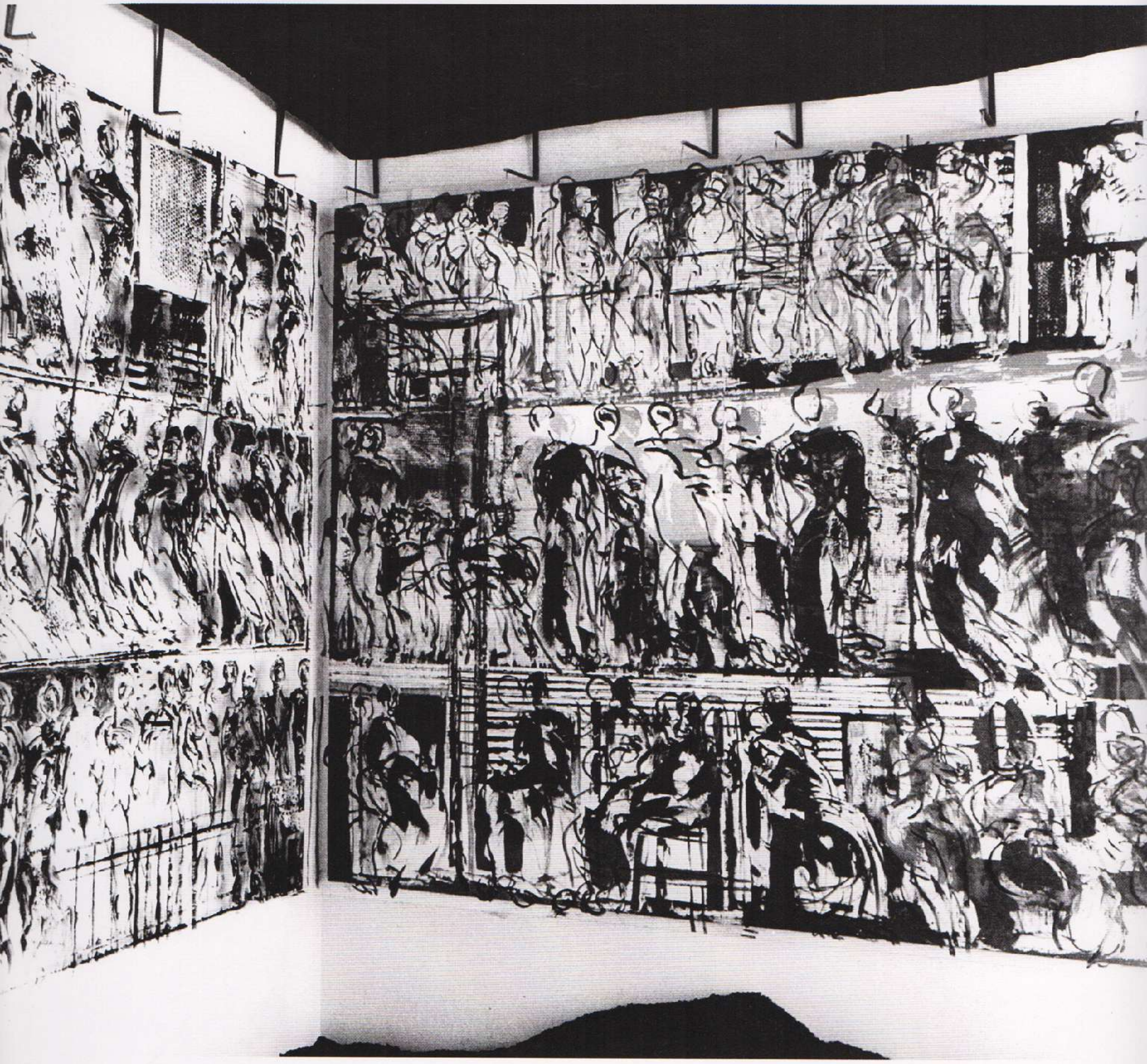

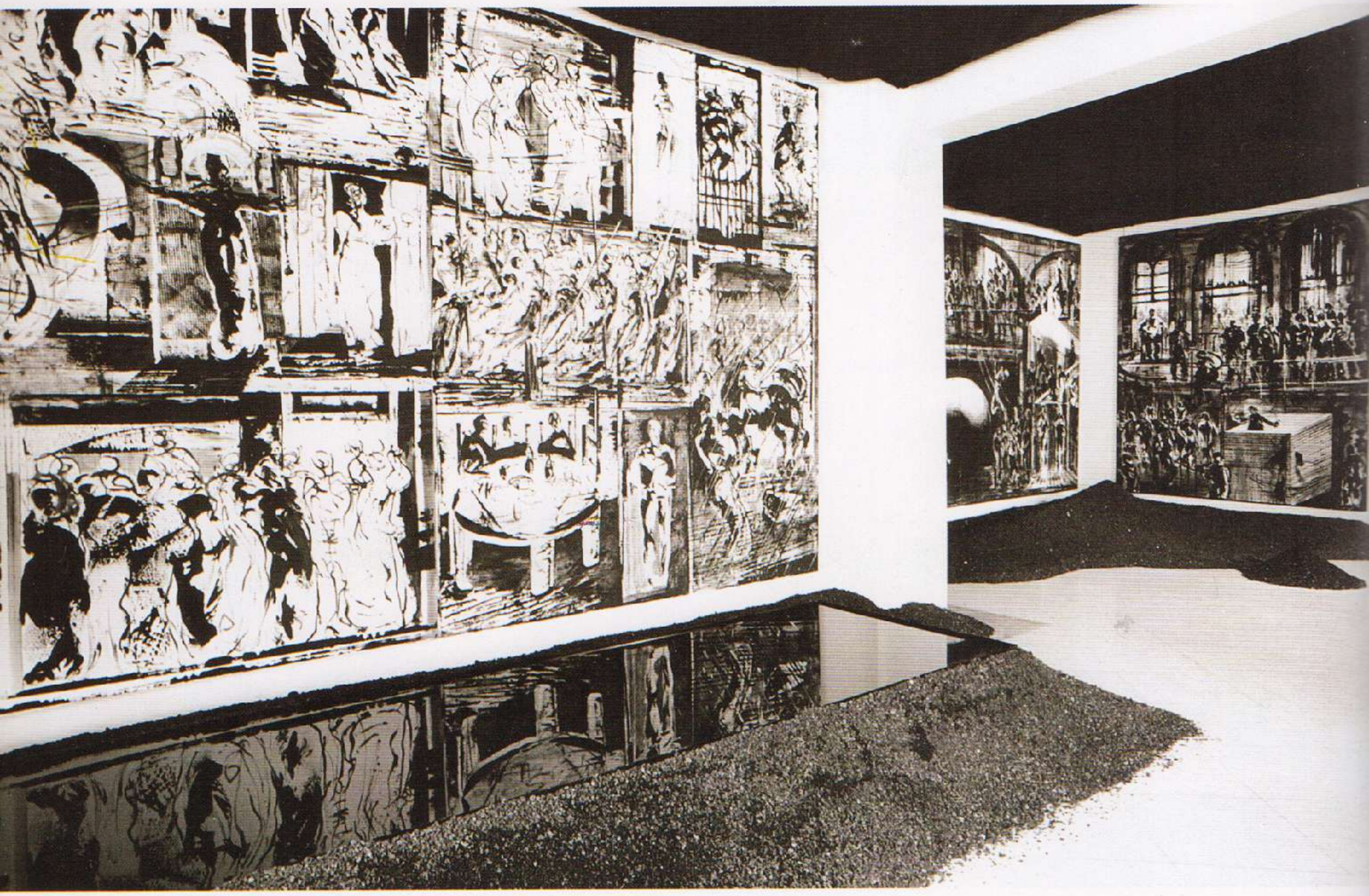

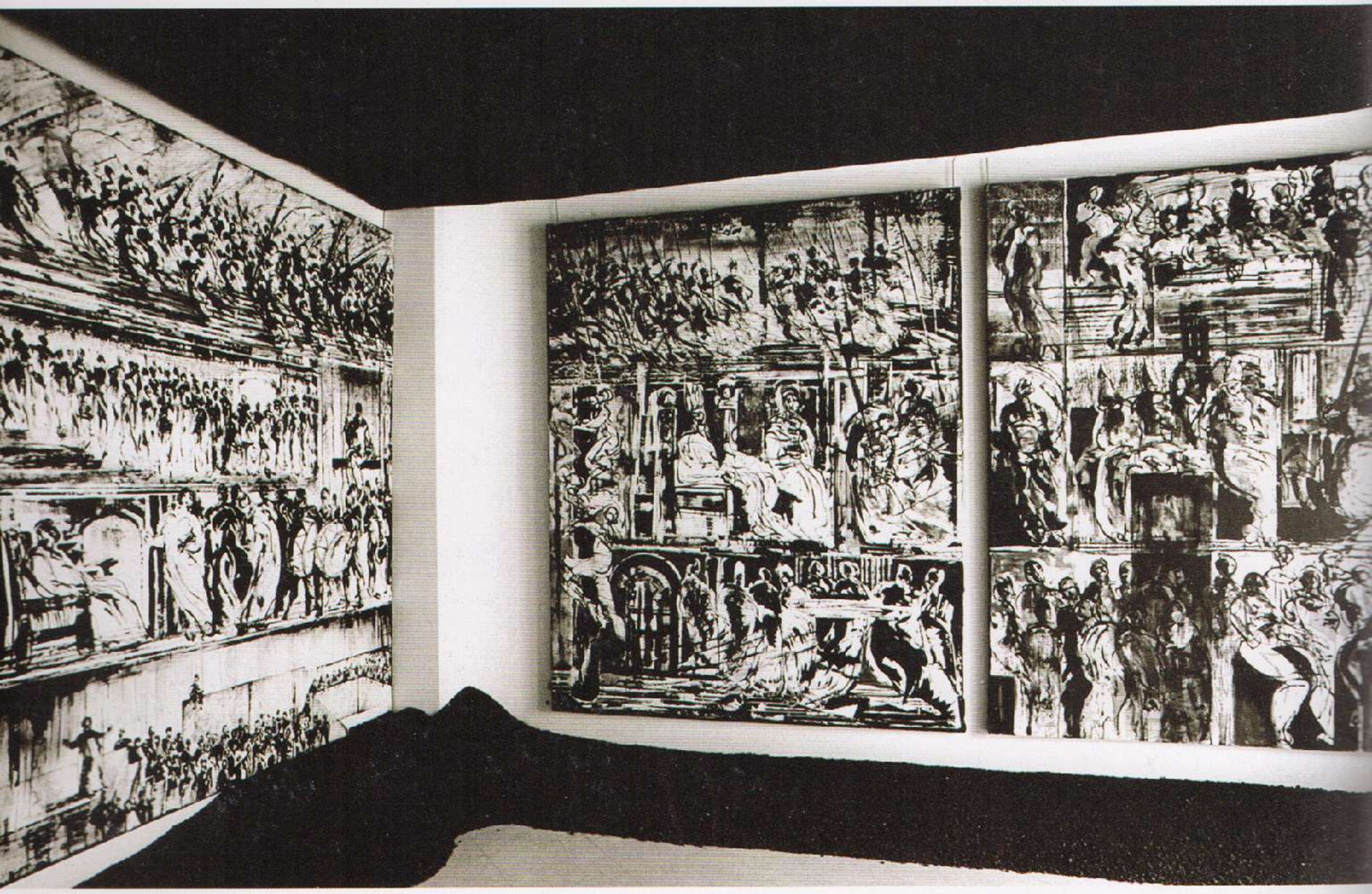

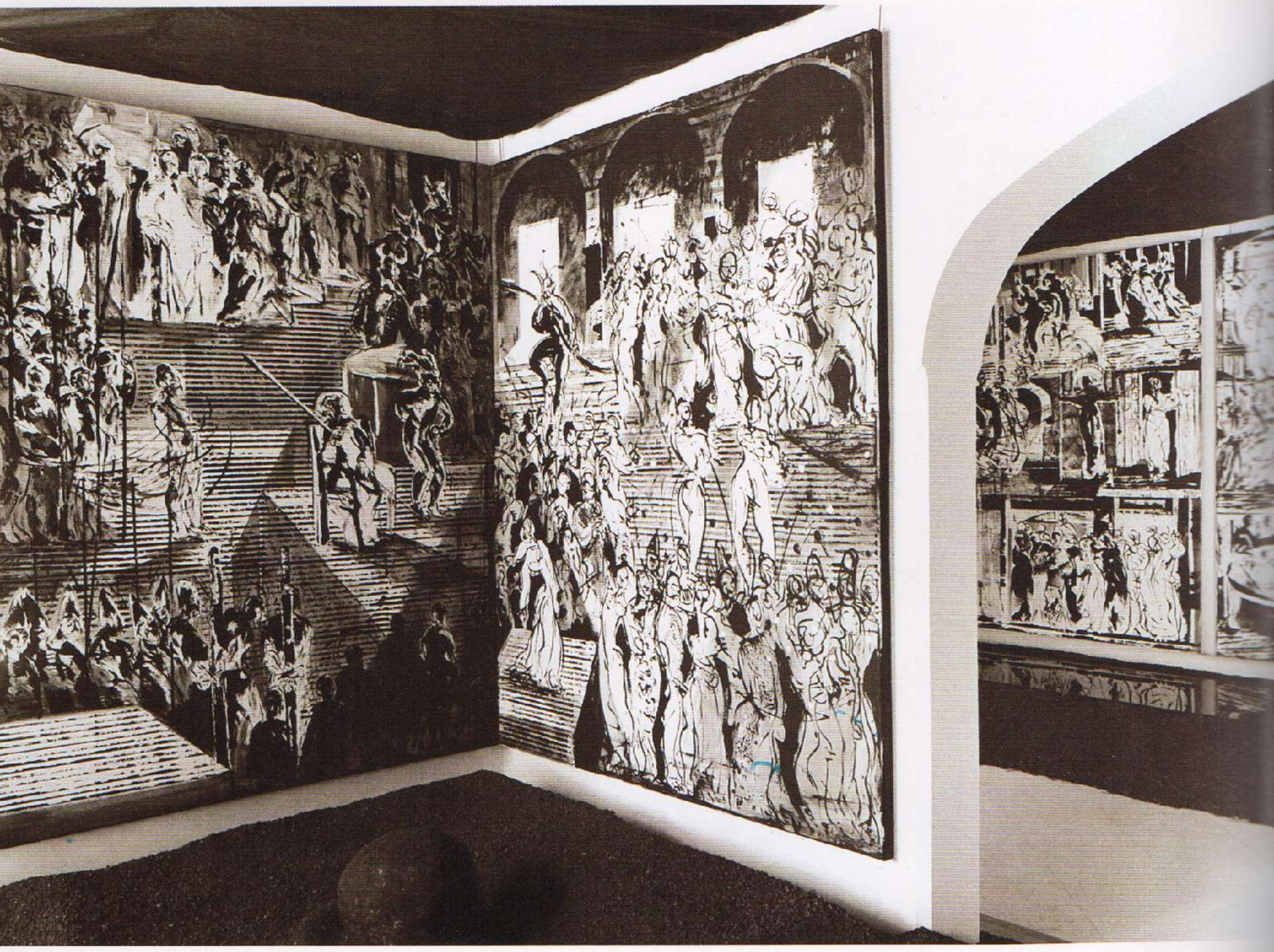

Les toiles

De 1a ` 11
190 x 235 Cm.
Pigments + Gomme arabique

No 12
Diptyque
380 x 235 Cm.
Pigments + Gomme arabique

l'expérience que je mène depuis 1988, en évitant toutefois de sombrer dans les certitudes tellement sécurisantes.

...

Pour éviter tout malentendu, j'aimerai préciser que cette exposition n'est en aucun cas une lecture des œuvres de notre grand dramaturge, ni une peinture qui illustre ses textes, ni une évocation de ses personnages ni même une approche de ses pensées. Un hommage lui est rendu par l'action directe sur la toile; par la disposition et la perspective qui se côtoient ou se superposent; par l'agencement de l'espace pictural ; par le recours à l'éclairage, à la musique et à la scénographie; par l'austérité de la couleur; par l'alchimie visuelle de l'harmonie et de la discordance; par l'unité de la composition plastique et expérimentale; par l'horizon et les issues artistiques auxquels j'aspire en élaborant cette installation.

Un hommage dont la signification réside dans mes outils de peintre et d'installateur; dans ma capacité de créer et d'incarner les choses; dans ma sensibilité envers ce qui se passe autour de moi; dans ma manière de transcender les images qui bouillonnent et qui mûrissent en moi depuis longtemps.

En transformant les lignes et les traits en champs de lumière et d'obscurité j'ai voulu résumer les diverses existences en quelques coups de couteau. Agressivité, mort, violence, atrocité, souffrance, rage qui méprise la faiblesse... voilà ce qui anime ma main dans le vide de la toile!

Ne partageons-nous pas avec Saadallah Wannous -depuis 1958- le lieu, le temps, la société, la culture et les événements? S'il apparaît que nous ne sommes pas unis par les liens intimes de l'amitié, il n'en reste pas moins que la solidarité se révèle être la conséquence naturelle des sentiments et sensations incommensurables que nous avons en commun, ainsi que de notre manière, encore commune, pour encaisser la déception et l'amertume.

A travers Saadallah, à travers l'Homme, je rends hommage à la persévérance des créateurs, à leur lutte contre la petitesse, la maladie, le désespoir, la souffrance et la mort.

Ahmad Moualla

Le théâtre y avait sa place. A côté de l'écriture, de la peinture et de la lecture, c'était l'unique moyen d'expression collectif qui nous permettait de présenter et de représenter. Seul, il pouvait éveiller dans la foule des sensations partagées.
Sans en être vraiment conscients, nous percevions la fragilité du théâtre, c'est pourquoi il a fallu toute notre dévotion, toute notre abnégation, pour le rendre plus fort et plus solide. En échange, il nous offrait de riches perspectives. Et un jour, comme par inadvertance, le théâtre sortit à la rue, faisant tomber nos aînés dans le piège des responsabilités, devenues intolérables à ceux qui manipulaient les choses de la vie dans la cité. Ainsi, les joueurs -qu'ils soient metteurs en scène, acteurs ou techniciens- se sont dispersés, et se sont tournés vers d'autres activités comme la peinture, la poésie, le conte ou le journalisme.
Ils se sont repliés sur eux-mêmes, bien à contrecœur .

...

Quant à moi, je suis resté fidèle à l'art plastique, après lequel je m'essouffle depuis l'enfance. Et si quelquefois j'ai emprunté d'autres sentiers -comme l'écriture, le théâtre ou la musique- il n'a jamais cessé d'être mon domaine d'élection. J'y baigne entièrement, j'y commets mes erreurs et, par son biais, je partage votre individualité.
Les liens que tisse la foule avec l'individu constituent un thème qui m'a toujours fasciné. Quelquefois, je m'abandonne au cadre spacio-temporel où se retrouvent un ou plusieurs personnages; ainsi, de nombreuses œuvres faisant partie de mes deux expositions de 1988 et 1990 s'approchent de la scénographie. Et dans mon exposition de 1994-1995 intitulée "Miró en trois dimensions" (qui concrétisa mes recherches de plasticien sur le rite, le lieu, le refuge), le spectateur se déplace, habillé de costumes que j'avais spécialement conçus dans le but de créer une certaine ambiance onirique, un certain rituel plastique.

Mon exposition actuelle fait partie de cette ronde. C'est une pure recherche plastique fondée sur un parti pris de créativité et d'expérimentation. C'est une tentative pour maîtriser et condenser

Pour Saadallah Wannous

Il ne nous est pas donné de décider du lieu ou de la date de notre venue au monde. Nous n'avons pas le pouvoir de choisir nos parents. Il ne nous est pas donné de sélectionner la culture qui nous baigne ni l'architecture qui nous entoure.
Nous souffrons, nous nous réjouissons pour une cause ou pour une autre. Nous enrageons contre quelque chose et nous exultons pour la chose opposée.
Nous grandissons dans un certain milieu et, jour après jour, les voix, les slogans, les images, les symboles, les parfums flamboient dans notre for intérieur, imprègnent nos traits, marquent notre identité de certaines caractéristiques dont nous ne nous rendons pas compte.

L'Euphrate coulait, charriant toute chose, engloutissant tout mystère, faisant entrevoir quelque phare à l'horizon, brassant et enlaçant la vie.

L'Euphrate coulait... A cause de lui je détesterai toujours les marécages.

...

Entre 1965 et 1975, notre maison à Raqqa était devenue un atelier, un théâtre et une aire de jeu tout à la fois. Lieu d'échange pour quelques jeunes qui recherchaient de vastes perspectives culturelles. Lieu où se retrouvaient diverses tendances et appartenances, où convergeaient passions et imaginations -dans l'absence totale de la télévision pas encore parvenue dans notre lointaine contrée.

L'artiste se trouve à l'apogée de sa liberté, lorsque, maîtrisant totalement ses outils et ses pensées, il est capable de lancer l'idée de son travail de manière à lui laisser la liberté de décider de son heure, de sa forme et de son propre sort.
"*Je suis libre lorsque l'embryon de ma pensée est libre de naître au monde ou d'étouffer dans l'obscurité de sa propre matrice*" dit l'artiste. Il ne crée pas le tableau, mais il lui insuffle : "*Tu es libre de naître quand tu veux, comme tu veux. Tu es maître de ta vie et de ta mort.*"
Sinon, comment pourrais-je interpréter la manière, la volonté ou le caprice qui a poussé ces colombes vers le sommet de cette cage d'aliénés? Est-ce Ahmad Moualla lui-même, dans une minute d'espoir? Ou alors ce sont les colombes, dans une minute d'abat - tement? Je sais seulement que ces pauvres colombes, comme tous les artistes et les poètes, ont choisi, volontairement ou bêtement, de s'installer au sommet de cette folie généralisée. Elles sont là pour témoigner, pour méditer ou pour se lamenter... Elles sont là, à leur place naturelle sur la scène de la vie.

Face à ce cauchemar infernal, nous avons l'impression de nager dans une eau noire, de respirer un air noir, d'écouter une chanson noire, d'avaler une bouchée... noire. Nous avons l'impression d'être prisonniers de l'horreur, de l'angoisse et du désespoir. Prisonniers d'un monde qui ne nous laisse aucun choix, à part la folie : nous sommes captifs de l'obscurité.

Ahmad Moualla, c'est encore un fou qui rejoint la caravane.
S'amusant à façonner notre vie, il invente un cauchemar qu'il nous est impossible d'endurer. Au lieu de *formaliser* les premières étincelles inventées par l'homme, il réinvente l'obscurité!
Avec une persévérance digne des diables ou des saints, il frotte le bois contre le bois pour offrir au monde un premier embryon de peur. Il offre au monde une étincelle d'obscurité.

Nazih Abou-Afache

avant que sa colombe ne perde sa route, avant que son Arche -qui est celle de l'humanité- ne sombre dans les flots. Message bref et modeste qui transforme le lupanar en cathédrale des souffrances humaines. Message adressé à l'humanité dans son ensemble.

Message devenu urgent au milieu de ce déluge démentiel, de cette épidémie qui risque d'exterminer toute valeur et toute graine de vie. Un vol de colombes... imposant le silence et apaisant le tumulte : "*Nous avons un message à délivrer. Nous devons proclamer de toutes les manières possibles -poème, cri, soupir d'amour ou coup de pinceau- que tout n'est pas perdu, qu'il est encore possible de secourir l'homme.*"

. . . . . .

En lisant le message de ces créatures terrorisées, en prêtant l'oreille à leur cri douloureux, j'ai eu l'impression qu'elles étaient complètement autonomes. Ce qui est parfaitement logique dans une pareille œuvre épique, puisque les habitants de la toile rêvent, souffrent et choisissent leurs propres emplacements sur la carte de leur enfer terrestre. Par conséquent, il leur est possible d'intervenir dans la composition du moindre détail technique concernant leur existence réelle : Ils vivent à *l'intérieur* de la toile-scène, tandis que le peintre (le créateur présumé) se contente de se tenir à *l'extérieur,* observant la façon de s'incarner de ses créatures, jouissant de l'illusion de sa création, prétendant les avoir créées à l'image de ses propres illusions.

Les créatures de Moualla -contrairement aux créatures que nous sommes- vivent leur enfer avec empressement et indépendance. Ils sont libres d'être malheureux, fous ou prisonniers des cages et des camps de la mort. Tandis que nous, nous passons notre vie dans des cages climatisées, nous ne savons plus jouir de l'air de la liberté, du soleil de la liberté ni même du vertige que fait naître dans nos têtes cette mystérieuse, cette maudite liberté!
Le tableau -comme le poème- choisit sa manière de venir au monde, c'est-à-dire choisit les rites, les idées, les caractéristiques et les costumes les plus adéquats pour célébrer l'innocence ou la mort!

un seul geste, une seule touche, un seul coup et c'est exactement ce que fait Moualla. Au sein d'une composition rigoureuse et libre en même temps, nous n'avons pas l'impression qu'il crée les visages mais qu'il brise la carapace, qu'il soulève les masques des visages déjà présents sur la surface de la toile... ou sur celle de la vie. Nous nous trouvons soudain confrontés à une création mystérieuse, pour laquelle les dieux ont mis plusieurs millions d'années et le peintre seulement quelques jours ou semaines.
Des êtres bizarres, étranges, qui émergent de la surface immaculée comme émergeraient les pensées dans l'obscurité de la mémoire! Partout des personnages fascinés par ce qu'ils croient être la liberté ou le salut, dans une prison cosmique qui les mate pour qu'ils se résignent au paradis de l'esclavage ou à celui de la mort! Des têtes, au bout des piques, paraissent comme des ballons flottant au-dessus d'une scène de massacre ou de mariage! Un chaos où règne la folie, la terreur et la désolation! Une vision d'apocalypse où les morts ne ressuscitent pas, où les vivants se meurent! L'éclairage tombe sur un œuf venu tout droit de la mythologie : est-ce un cercle de lumière? est-ce l'œuf de la Vie? ou est-ce le cul du monde tourné vers lui -même?! Une gazelle farouche se réfugie dans une icône de "La Vierge et l'Enfant". Un jeune voyou est perché sur le mur le plus élevé, il regarde la destruction du monde en tirant la langue dans notre direction! Un étrange banquet de lumière ... on dirait qu'il est préparé pour les morts, avec la chair et les rêves des morts! Des hommes, en route vers la gloire, battent le tambour pour célébrer leur propre folie! Des joueurs dans un cirque, des presqu'hommes dans des cages, des débauchés, des dépravés, des danseuses, des singes, des anarchistes, des clowns, de jeunes diables ou de jeunes saints... On dirait que tous les hommes de la terre se sont donné rendez-vous ici-même et mènent leur dernier combat pour remporter un bout d'os... ou une poignée de poussière! Tout ce monde-là se vautre, s'égosille dans un lieu qui ressemble tantôt à une cathédrale, tantôt à un lupanar et tantôt à un camp de nudistes!
Un vol de colombes plane au-dessus de cette comédie, de ce carnage, de ce délire cosmique. Message timide, adressé à l'homme comme une bouteille lancée à la mer par un Noé contemporain,

ces images hallucinantes, l'homme se voit lui-même tantôt comme un être supérieur qui anoblit le monde, tantôt comme le spectre répugnant d'une bête sauvage qui rêve de le dévorer.
Œuvre-opéra, assez proche d'une Iliade visuelle, émergeant d'une atmosphère dantesque où le Paradis rejoint l'Enfer. Carnaval rituel et inventif, où la tragédie rejoint la satire, le sacré rejoint le pêché, le bonheur rejoint la douleur, la pudeur rejoint la débauche, la sagesse rejoint le remords ou la torture! Théâtre fantastique qui incarne la vie comme dans un cauchemar : tellement foisonnante, contradictoire, misérable, absurde, qu'elle entraîne l'esprit et l'âme dans un vertige ... le vertige même de la vie ...
C'est bien cela ... une imagination de poète mêlée à celle d'un fou. Un cœur qui regorge de monde, plein de débris d'hommes et de débris de vie. Une parole recommencée, un cri renouvelé qui ne sera pas étouffé ou perdu.
La parole recommencée... qui se manifeste sans orgueil ni prétention, au moyen d'allusions intelligentes aux traditions les plus authentiques dans une Renaissance indéterminée. Ahmad Moualla ne présente pas une œuvre mais propose un projet qui pourrait devenir celui de toute une vie. Ainsi, nous pouvons très simplement suivre le fil qui relie les premières étapes de ce projet (œuvres sur papier réalisées avec diverses matières "non nobles" allant du pastel à l'encre, en passant par le marc de café) à l'étape qu'il nous donne à voir aujourd'hui . Les œuvres précédentes ont constitué les esquisses, les premières gammes d'un *Chant Général Épique* pour la réalisation duquel l'artiste a dû tester un grand nombre de techniques, de matières et de concepts afin de donner libre cours à sa main, à son esprit, à son âme et à son imagination.

Les œuvres de Moualla sont autant de traces, d'empreintes, qui témoignent d'une époque culturelle au cours de laquelle le genre humain fut condamné au silence, à l'émasculation et à l'atrophie esthétique; réduit à l'état de mollusque; résigné à l'obscurité de sa coquille et de ses tunnels bourbeux.
Réaliser une telle œuvre exige l'intelligence de la main, de l'œil et de l'esprit. Afin de parachever son acte téméraire, l'artiste n'a droit qu'à

Une étincelle d'obscurité

Il se peut que ma méfiance envers ceux qui prônent l'espoir m'amène à considérer le nouveau projet d'Ahmad Moualla comme le cri ultime de l'homme, lancé du haut d'une planète qui se fissure de partout. Un appel au secours intrépide - bien que désespéré- jeté comme une bouteille à la mer par le dernier marin du pont d'un navire qui sombre dans les flots. Ce message est adressé à nous, à nous qui bâillons encore sur les terrasses de notre navire cosmique en péril, à nous qui sommes encore leurrés par de vagues illusions, fourvoyés par nos erreurs et par notre absence totale de perspicacité.
"Le bateau coule! Nous sommes les seuls survivants ... avec quelques rats terrorisés qui vont se jeter dans le noir océan.!"
Un appel au secours poignant, dont l'écho se répercute depuis des siècles : de l'Iliade d'Homère à l'Enfer de Dante, des créatures de Michel-Ange hésitant entre les promesses du ciel et les déceptions de la terre, aux créatures de Goya broyées par la souffrance, l'indécision et l'impatience.
Le cri s'élève et retentit aujourd'hui dans une œuvre épique, à la fois délicate et cruelle, comme si elle était rescapée des travaux des premiers classiques ou comme si elle appartenait à une certaine Renaissance, égarée en cours de route, et qui nous parvient aujourd'hui seulement.

Cette œuvre réunit l'imagination d'un poète et celle d'un fou. Elle permet un vaste éventail de significations et de réflexions... A travers

le sens premier du mot, lui, subsiste et reste le lien entre l'écrivain et son lecteur. Ce qui veut dire que même quand l'écriture apparaît subjective, anticonventionnelle, et non préoccupée par la communication, comme dans le cas de Philippe Sollers, elle ne l'est pas tout à fait. Finalement l'écrivain sait qu'il partage avec la société ce moyen de communication qu'est la langue.

ME - Mais ne pouvons -nous pas dire la même chose pour la peinture et la sculpture? Est-ce que le sens des couleurs et des lignes n'est pas, au départ, lui aussi conventionnel?
SW- Non je pense que la peinture a sa spécificité et les grandes révolutions dans ce domaine étaient de nier tout ce qui était conventionnel : la mimesis, la perspective et les couleurs..Dans ce sens il suffit peut-être de citer le travail des impressionnistes! Picasso, à lui seul, a révolutionné l'art. A partir de ses visions il a crée un monde des formes, des couleurs, original.

Marie Elias
Extraits d'un Entretien avec Saadallah Wannous
1996

exemple que c'était de l'hypocrisie sociale ou le produit de la société bourgeoise. (ces écrivains n'ont pas poussé la recherche à l'extrême).

. . .

ME. - Ce que tu dis là n'est pas une spécificité de la littérature. Prenons la peinture par exemple. Je pense que le peintre lui aussi recherche cette même vérité, pour produire une oeuvre qui touche "l'autre" dans son moi le plus profond!
SW - Dans ce domaine, c'est plus compliqué, parce que le travail du peintre n'est pas de dire. Lui ne cherche pas à communiquer avec son public à travers les idées ou le discours. En peinture lorsque le regard se pose sur l'oeuvre, se produit une sorte de choc électrique trés individuel, Il suffit que le tableau touche le"spectateur" dans ses obsessions, ses désirs ou réveille en lui un souvenir, un goût. Au peintre, on ne demande pas de traiter des sujets liés à la complexité sociale à travers des paraboles qui se prêtent à des interprétations et des généralisations. Et quand ça arrive, citons le cas des pays socialistes, la peinture se dégrade et le peintre perd sa spécificité.
En revanche, on demande à l'écrivain de peindre le tableau de la société. Là il doit dépasser son moi pour toucher et dire le moi des autres, ce qui est un avantage et une contrainte à la fois... Il faut qu'il exprime une vérité quelconque. Il lui faut découvrir cette vérité, cette réalité complexe où se mêlent le subjectif et l'objectif. L'écrivain a pour mission d'exprimer, d'une façon ou d'une autre.

ME -Mais le peintre aussi exprime, dit... Bien que les moyens d'expression sont différents, ce que tu dis à propos de la littérature s'applique tout à fait aux autres arts. Tout est langage. Dès qu'on s'exprime ouvertement, on s'adresse aux autres, et la collectivité s'approprie la chose exprimée même si cette matière est au départ l'expression individuelle d'une subjectivité.
SW - Malheureusement l'aspect éminemment conventionnel de la langue en fait un moyen de communication très contraignant, la langue est le système de communication conventionnel par excellence. S'il est possible de faire exploser les structures de la langue ,

des êtres, dans les labyrinthes des relations qui semblent parfois ambiguës, incompréhensibles et secrètes.

Ces liens, ces relations portent un nom bien sûr: famille, amitié, relation amoureuse, liens de parenté, voisinage. Mais ce ne sont que des noms, des appellations, pour des relations secrètes et profondes qui sont à la limite du caché et du déclaré, c'est à dire entre ce que l'individu dissimule au plus profond de soi et la société qui l'entoure (de l'environnement le plus proche à la collectivité).

Cette vie véritable qui se déroule à moitié au grand jour et à moitié dans la pénombre, est l'obsession essentielle, et en même temps, la motivation, qui pousse chacun de nous à revêtir des apparences vis à vis du monde extérieur.

C'est ça la vie réelle, c'est ça la vie essentielle, qu'on ne dévoile que rarement et que masque une vie fictive, pleine de mensonges et de faux- semblants . Je sens aujourd'hui, je l'ai peut -être senti il y a un an, mais de façon moins claire, que la vie telle qu'elle apparaît n'est qu'un théâtre de consommation.

Si on applique cette idée à l'art, à la création artistique et littéraire, je dirai que le travail du créateur, artiste ou écrivain, consiste dans la recherche du vrai et de son expression artistique ou littéraire.

L'écriture d'un théâtre vrai et qui révèle ce qui est essentiel chez l'homme, nécessite de mettre de côté ce grand théâtre commercial qu'est la vie sociale. Cela veut dire que l'écrivain doit plonger dans les profondeurs de l'être et du groupe, rechercher dans les couloirs secrets les signes cachés, les vrais désirs, les pulsions enfouies et frustrées, puis les mots précis et exacts qui les expriment . L'art c'est tout cela justement .

Ce n'est pas une découverte... Je sais que plusieurs écrivains m'ont précédé dans cette voie, mais concrètement ils ont souvent formalisé cette idée dans le cadre d'une critique sociale, en disant par

Propos sur la vie et l'art

Marie Elias - Je pense qu'on arrive là à la question de la philosophie de la vie, ou plus précisément la quête de la "vérité". Cette vérité qu'on cherche tous à travers soi et à travers la réalité de la vie.....
Saad allah Wannous - oui..En cette période (de maladie) j'ai longuement réfléchi à ce sujet...Je sens que la vie publique, qui est la vie de tous les jours, n'est qu'une façade de la vie. Si tu posais la question suivante à n'importe quelle personne saine et bien portante " qu'est ce que c'est la vie?" il la décrirait ainsi: les gens se lèvent le matin, le travailleur va à son travail, la femme d'intérieur s'occupe des tâches ménagères. Il décrirait des activités sociales très diversifiées, des rencontres sociales au travail, des rencontres à la maison, des rencontres dans la rue, les hommes avec les hommes, les femmes avec les femmes, les problèmes de la rue, les problèmes de transport. Bref, cette vie publique n'est qu'une image, je ne veux pas dire "négative" , je dirais plutôt une image fictive de la vie.
La vraie vie se joue dans des couloirs sombres et obscurs à l'intérieur

Saadallah Wannous

Auteur dramatique, né en 1941, à Hossein albahr, (Tartous) devient à partir des années soixante, une figure importante de la culture et du théâtre arabes. En 1963, il termine ses études de journalisme au Caire et écrit une première série de pièces courtes qui sera publiée en Syrie dans une première édition en 1965. Depuis cette date il n'acessé d'écrire pour le théâtre. "Méduse fixe la vie" (1963) ,"La saignée" (1963), "Le drame du vendeur de mélasse" (1963),"Cadavre sur le pavé" (1964), " Le messager inconnu aux funérailles d'Antigone" (1964), et "Les sauterelles" (1965) sont les pièces les plus connues de cette période. De caractère symbolique, cette écriture pose une question fondamentale sur le rôle de la culture. Comment peut-elle exprimer les problèmes de l'homme dans la société?

En 1966, il fait un voyage d'études en France, et suit de prés les mutations profondes du théâtre européen. Par la suite, il saura adapter ces acquis aux préoccupations du théâtre et de la société arabes. A partir de cette date son théâtre connaît un tournant. L'écriture plus ancrée dans la réalité sociale, mais surtout politique, marie la modernité du théâtre occidentale avec la tradition populaire. Il puise dans les légendes et le patrimoine pour exprimer son présent. C'est ainsi qu'apparaissent " Fête pour le 5 juin" (critique de la guerre du 5 Juin 1967) en 1968, "L'éléphant oh roi des temps" en 1969, puis "La tête du mamelouk Jaber" en 1971, "Soirée avec Abou Khalil al Kabbani(fondateur du théâtre en Syrie) en 1972, et "Le roi est le roi" en 1978. C'est là où il élabore sa vision du théâtre de "politisation", et l'exprime dans ses écrits théoriques "Manifestes pour un théâtre arabe" et "Marges culturelles".

Durant toute cette période il participe activement à la vie théâtrale et culturelle en Syrie et dans d'autres pays arabe. C'est ainsi qu'il oeuvre pour la création d'un festival de théâtre en Syrie, puis dirige à partir de 1978 une revue théâtrale spécialisée (Al hayat al masrahia).

En 1989, et après des années de silence, il reprend l'écriture dramatique avec "Le viol" qui constitue une nouvelle étape dans l'évolution de son écriture. Cette étape est sûrement la plus riche et la plus diversifiée . A côté de sa préoccupation permanente pour les problèmes politiques, une nouvelle dimension, plus personnelle et par là plus humaine, occupe son univers théâtral. Après la grande fresque "Miniatures" (qui raconte dans une vision moderne et critique l'invasion de Damas par les mongoles au xv ème siècle) suivent des pièces comme "Rituel pour une métamorphose" "Un jour de notre temps " et "Rêves infortunés'.(1994) qui font apparaître cette nouvelle dimension. En 1996 il publie"L'épopée du mirage " qui sera suivie par un long récit intitulé "Voyage dans les continents inconnus d'une mort passagère"(récit onirique à la limite de la vie et de la mort, rythmé par un va et vient continu entre le présent et le passé, entre la réalité de la maladie et la fantaisie de l'imagination)

M.E.

Remerciements

A tous les amis, et à tous ceux
qui ont rendu possible cette exposition
Dr Rania Samarah
Abdulkarim Abboud . Zaher Yassouf .
Nazir Mourad . Firas Adra . Youssef Badawi .
Maher Barbar . Mohammad Hamdan .

Illustration sonore
Fawwaz Jaber

Crédit photographique
Mohammad Alroumi
George Achi (Photos 12 & 16)

Photogravure
et photocomposition
Fawwal Center

Imprimerie
Nadar

Ahmad MOUALLA

Hommage à

Saad allah WANNOUS

Galerie ATASSI

1997

Ahmad Moualla

Né en Syrie - 1958. Peintre et designer

Diplômé de la Faculté des Beaux-Arts, section de Communication visuelle. Damas 1981

Diplômé de l'Ecole Nationale Supérieure des Arts Décoratifs . Paris 1987

Docteur professeur à la Faculté des Beaux-Arts. Damas 1989-1996

Expositions individuelles

1988 - "La Syrie d'Ahmad Moualla" . Galerie Urnina.

1990 - Galerie Pays de Sham. Damas

1990 - Galerie Pays de Sham. Alep

1992 - Galerie Atassi. Homs

1992 - Galerie Eymar. Lattakieh

1993/1994 - "Expériences" - Centre Culturel Français.

1994/1995 - "Miró en trois dimensions" - Centre Culturel Français. Damas

1995/1996 - "Ruines d'incendies humaines". Expérience plastiques sur les murs des amis

1996 - "Hommage à Saadallah Wannous" - Galerie Atassi.

1996 - Illustration de la pièce "L'aventure du Mamelouk Jaber". UNESCO- Paris

Expositions collectives et participations

1990-1994 - Expositions des professeurs de la Faculté des Beaux-Arts. Damas

1993 - Groupe 4+5 - Galerie Ishtar - et Palais de verre. Beyrouth

1994 - Cinq jeunes artistes de Syrie. Le Caire

1995 - Artistes du monde - Exposition itinérante dans plusieurs capitales

1995 - Biennale de Charja. Participation à l'atelier pratique et aux tables rondes théoriques

Atelier avec les handicapés

1996 - Biennale du Caire

1996 - Séminaire de recherche sur "l'expérience de Kôm Ghourab". Le Caire

- Membre du comité de rédaction de la revue "Aleph". Damas 1992/1993

- Membre du jury de l'exposition des Pays du Golfe - 1994

- Membre du comité d'étude du dictionnaire des termes des arts plastiques. Académie de la Langue Arabe. Damas 1995

A son actif : affiches, couvertures et mise en page de livres et de revues, campagnes publicitaires, illustrations

- Design graphique.

- Scénographies de plusieurs pièces montées par le Théâtre National . Damas 1990/1994

- Participations critiques et littéraires dans plusieurs périodiques arabes

- Deux études sur la publicité occidentale dirigée vers les Pays Arabes et sur le rôle de la publicité dans l'art occidental.

- Premier Prix de la ville de Kiel. Allemagne 1987

- Prix de la meilleure affiche. Munich 1988

Ahmad MOUALLA

Hommage à
Saad allah WANNOUS

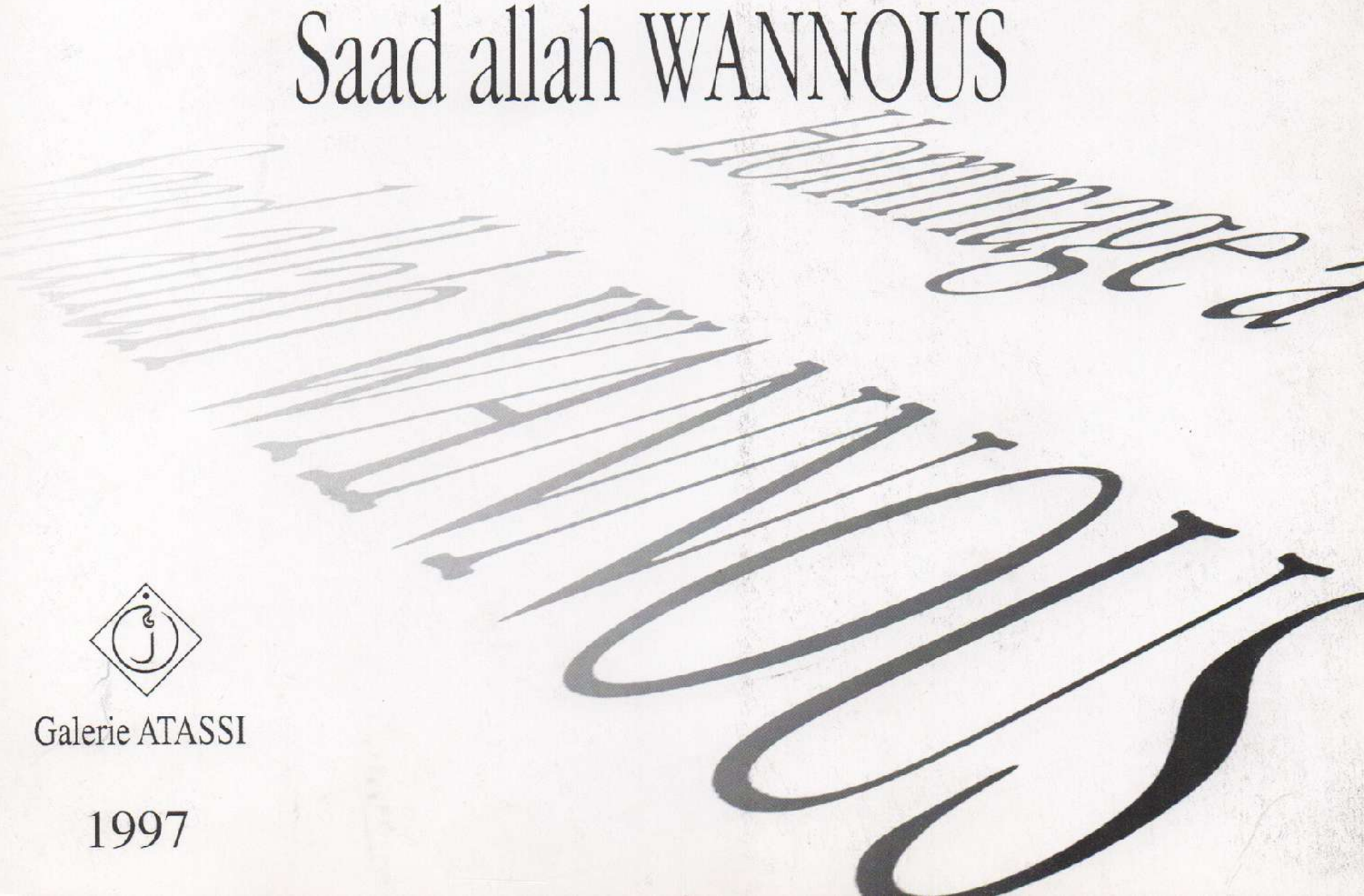

Galerie ATASSI

1997